الركن الثالث من أركان الإيمان
الإيمان بالكتب

من شمولية الإسلام وخصائصه وتميزه علىٰ ما سواه: أنه يجعلك تصطلح مع كل رسل الله وكتبه وليس كبقية الأديان، بل إن الإسلام يخبرك بأنك إن لم تؤمن بالأنبياء الذين بُعثوا لأهل الكتاب -اليهود والنصارىٰ- فإنك لا تكون مسلمًا.

قارِن هذا بضيق الأفق الذي تجده عند أهل الكتاب الذين يفرقون بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، يؤمنون بموسىٰ وعيسىٰ ويكفرون بمحمد ﷺ، يؤمن بعضهم بالتوراة ويكفرون بالإنجيل والقرآن، ويؤمن آخرون بالتوراة والإنجيل ويكفرون بالقرآن، بينما نحن نؤمن بموسىٰ وعيسىٰ ومحمد وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونؤمن بالتوراة والإنجيل والقرآن -وإن كنا نعتقد أن التوراة والإنجيل الموجودَين اليوم قد تم تحريفهما-.

وقد عبّر أحد العائدين إلىٰ الإسلام من النصرانية بتعبير جميل واصفًا هذه الحالة الشمولية في الإسلام بقوله: (ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح) وجعلها عنوانًا لكتاب ألفه في ذلك، أي أنه حين أسلم فإنه لم يخسر حبه ولا تعظيمه للمسيح ﵇ لأنه في نظر الإسلام نبي من أفضل الأنبياء، وفي نفس الوقت ربح الإيمان بمحمد ﷺ، الذي جاء مُصدّقًا لما بين يديه من الكتب والرسل ومنهم عيسىٰ ﵇.

كيفية الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب يكون عبر مقامين اثنين:

الأول: التصديق المجمل.

الثاني: التصديق المفصّل.

فأما التصديق المجمل فهو الإيمان بأن الله أنزل كُتبا علىٰ رسله وأنبيائه، كما قال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾. وأما المفصّل، فهو: التصديق بتفاصيل ما أخبر الله به عنها في القرآن من أسمائها وما يتعلق بها من حفظ أو تحريف ونحو ذلك، فالله أخبرنا أنه أنزل التوراة علىٰ موسىٰ والزبور علىٰ داود والإنجيل علىٰ عيسىٰ ﵈ وأخبرنا عن صُحف نبي الله إبراهيم، فيجب علينا الإيمان بكل ذلك.

وأخبرنا كذلك بتحريف أهل الكتاب للكتاب، كما قال ﷻ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ولكن هذا لا يعني أنه لم يبق فيه شيء صحيح، بل هناك أمور باقية من الوحي الإلهي لا تزال محفوظة، ومن الأمثلة علىٰ ذلك: ما جاء في سورة الأنبياء قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ونحن نعلم أن الزبور أُنزل علىٰ داود عليه السلام، وإذا راجعنا سِفر المزامير في «الكتاب المقدس» وهو السِفر المتعلق بداود عليه السلام سنجد هذا النص مكتوبًا: «الصديقون منا يرثون الأرض ويسكنونها إلىٰ الأبد»[1] وأنت ترىٰ أن هذا يتوافق مع ما أخبر القرآن أنه مكتوب في الكتب السابقة، هذا بالإضافة إلىٰ النصوص الموجودة لديهم والتي تتحدث عن النبي ﷺ وتبشر به، ويمكن مراجعة (هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟) للدكتور منقذ السقار في هذا الموضوع لتقف علىٰ النصوص الموجودة في الكتاب المقدس المتعلقة بهذا المعنىٰ.

القرآن: خاتمة الكتب الإلهية للبشر والمعجزة الكُبرىٰ:

أما القرآن الكريم -وهو آخر كتاب أنزله الله تعالىٰ ولا كتاب بعده- فهو الكتاب العظيم المحفوظ من التحريف

(١) سفر المزامير (٣٧: ٢٩)

والنقص، ومن عظمته أن الله ﷻ وصفه بقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر: ٢١]. وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١] والجواب في الآية محذوف تقديره: «لكان هذا القرآن»، فتقدير الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ﴾ = (لكان هذا القرآن) ولك أن تتخيل العظمة بعد ذلك. وجاء الحذف هنا لتظهر عظمته، كقول القائل مثلا: (لو رأيتَ فلانًا وهو يخطب) دون أن يُكمل الجواب -أي دون أن يقول: لرأيت خطيبا بارعا- فالذي سيأتي في بال السامع أنه خطيب بارع ومؤثر، وهو أبلغ من قوله (لو رأيت فلانًا وهو يخطب لرأيت خطيبًا بارعًا) فهذا سيقلل فخامة الجملة وشأنها.

إعجاز القرآن:

إن من أعلىٰ جوانب عظمة القران: إعجازه؛ وذلك أن النبي ﷺ لما نزل عليه القران، وكذبه قومه، أتاهم بآية قاهرة، ومعجزة بيّنة من عند الله ﷻ، وهي متعلقة بهذا القرآن، وذلك أنه تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن بل بسورة منه! وحتىٰ تتصور عظمة هذا التحدي فاستحضر المعطيات التالية:

- **نوع الخصوم**: عرب أقحاح، بضاعتُهم البيان، وميدانهم اللغة والفصاحة.

- **عددهم**: لا يُحصىٰ لأن التحدي كان عاما لهم ولأنصارهم بل وحتىٰ للجن الذين معهم.

- **صيغة التحدي**: قوية واضحة مستفزة للطرف الآخر، فلو كان قادرًا فلا يمكنه ألا يجيب.

- **الإغراء**: لو استطعتم الإتيان بسورة مثل القرآن ينتهي الإسلام وتنتصرون أنتم.

- **المحفزات**: لا تحتاجون إلىٰ قتال ولا إلىٰ سفك دماء ولا إجراء معارك وحروب، فقط تكلموا بألسنتكم وائتوا بمثل هذا القرآن.

- **ومما يزيد التحدي استفزازًا لهم**: إخبارهم بأنهم لن يستطيعوا -البتة- أن يكسبوا هذا التحدي، وأن من الخير لهم أن يتقوا النار عوضًا عن ذلك.

- **النتيجة**: عجْزُ العرب، وانتصار القرآن، وشموخ الإسلام.

قال الله تعالىٰ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] وكتب الدكتور محمد دراز رحمه الله معلقًا علىٰ الآية: «فانظر أي إلهاب، وأي استفزاز: لقد أجهز عليهم بالحكم الباتِّ المؤبَّد في قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾، ثم هددهم بالنار، ثم سوَّاهم بالأحجار، فلعمري لو كان فيهم لسان يتحرك لما صمتوا عن منافسته وهم الأعداءُ الألِدَّاء، وأباةُ الضيم الأعزاء، وقد أصاب منهم موضع عزتهم وفخارهم. ولكنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلىٰ معارضته، ولا سُلَّمًا يصعدون به إلىٰ مزاحمته، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طَوْد شامخ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا، حتىٰ إذا استيأسوا من قدرتهم واستيقنوا عجزهم ما كان جوابهم إلا أن ركبوا متن الحتوف، واستنطقوا السيوف بدل الحروف، وتلك حيلة يلجأ إليها كل مغلوب في الحجة والبرهان، وكل من لا يستطيع دفعًا بالقلم واللسان.

ومضىٰ عصر القرآن والتحدي قائم ليجرِّبَ كل امرئ نفسه، وجاء العصر الذي بعده وفىٰ البادية وأطرافها أقوامٌ لم تختلط أنسابهم، ولم تنحرف ألسنتهم، ولم تتغير سليقتهم، وفيهم من لو استطاعوا أن يأتوا هذا الدين من أساسه، ويثبتوا أنهم قادرون من أمر القرآن علىٰ ما عجز عنه أوائلهم؛ لفعلوا، ولكنهم ذلت أعناقهم له خاضعين، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبل. ثم مضت تلك القرون، وورث هذه اللغة عن أهلها الوارثون، غير أن هؤلاء الذين جاءوا من بعد كانوا أشد عجزًا، وأقل طمعًا في هذا المطلب العزيز فكانت شهادتهم علىٰ

أنفسهم مضافة إلىٰ شهادة التاريخ علىٰ أسلافهم، . . ، ولا يزال هذا دأب الناس والقرآن حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها»[1].

إن هذا النوع من العظمة جعل علماء المسلمين يتساءلون: مالذي أعجز العرب في هذا القران؟!فنتج عن بحثهم في الجواب عن ذلك: علمٌ ضخم فخم من علوم المسلمين اسمه: (علم إعجاز القرآن) وهو علم يبحث في ثبوت إعجاز القرآن وبيان وجه إعجازه. وقد تحدثتُ عنه في محاضرة مطوّلة علىٰ موقع «يوتيوب» بعنوان: إعجاز القرآن عند المتقدمين، شرحتُ فيه تفاصيل هذا العلم وموضوعاته وأهم كتبه.

هذا، وإنّ من أهم ما أُلف في هذا الباب: كتاب بيان إعجاز القرآن للخطابي، وكتاب إعجاز القرآن الكريم للباقلاني، وكتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، وكتاب النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز.

ولعل من المناسب أن أختم الحديث عن إعجاز القرآن الكريم بما ختم به الإمام الخطابي كتابه (بيان إعجاز القرآن) متحدثا عن أثر القرآن علىٰ النفوس وعظمته في التغوّل لأعماق الروح، قائلًا: (قلتُ في إعجاز القرآن وجهًا آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم؛ وذلك: أخْذُه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن،

---

(١) النبأ العظيم، محمد دراز، طبعة دار طيبة (ص ١٠٥- ١٠٦).

منظومًا ولا منثورًا، إذا قرع السمع خلص له إلىٰ القلب من اللّذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرىٰ، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتىٰ إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها .. فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلىٰ مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانًا ...بعث الملأ من قريش عتبة بن ربيعة إلىٰ رسول الله ﷺ ليوافقوه علىٰ أمور أرسلوه بها، فقرأ عليهم آيات من حم السجدة، فلما أقبل عتبة وأبصره الملأ من قريش، قالوا أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به)[١].

(١) الخطابي، بيان إعجاز القرآن: ٧٠

الركن الرابع من أركان الإيمان
الإيمان بالرسل

كما سبق في الإيمان بالكتب مِن أن الإسلام يجعلك في حالة تصالح مع كُتب الله، فإنه يجعلك كذلك تجاه الأنبياء والمرسلين، فنحن نؤمن بكل الرسل الذين قص الله علينا خبرهم في القرآن، فما أخبرَنا به مفصّلًا آمنّا به مفصّلًا، وما أخبرنا به مُجملًا آمنّا به مجملًا. فالإيمان المفصّل يتعلق بأسمائهم وصفاتهم وكُتبهم وأخبارهم -كل ذلك يجب الإيمان به كما أخبر الله ورسوله- والإيمان المجمل، مفاده: أن هناك رسلًا أرسلهم الله وإن كنا لا نعلم عنهم شيئا، ولكننا نصدق بوجودهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وفي هذه الآية الرد علىٰ من يزعم أن وجود الأنبياء انحصر فيما يُعرف بمنطقة الشرق الأوسط، فهي خبر صادق بوجود الأنبياء في كل الأمم.

دين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة:

- يخبرنا القرآن بأنَّ الأنبياء كلهم كانوا مسلمين لله تعالىٰ، أديانهم قائمة علىٰ التوحيد كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

- ويخبرنا القرآن كذلك بأن الأنبياء وإن كانوا يشتركون في التوحيد وأصل الرسالة إلا أن شرائعهم تختلف ما بين نبي وآخر كما قال ﷻ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

- ويخبرنا القرآن أيضًا بأنّ النبي ﷺ بُعث مصدقًا للأنبياء في أصل هذه الرسالة، وأن شريعته جاءت ناسخة لكل الشرائع السابقة ومهيمنة عليها، كما قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

أصناف المكذبين بالرسل والنبوّات:

المكذبون بالرسل أصناف:

- فمنهم الملحدون، الذين لا يعترفون بوجود الله أصلا. وهؤلاء لا يكون النقاش معهم في تفاصيل النبوة بل في إثبات وجود الله ﷻ، لأنهم ينكرونها من ناحية الإمكان، فإذا أثبتنا أن الله موجود لم يعد هناك وجه للقول بأن النبوة مستحيلة، لأن

الذي خلق الكون غير عاجز -سبحانه- عن إرسال رسول! والذي خلق الكون وجعل له قوانين غير عاجز -جل شأنه- عن تأييد أنبيائه بمعجزات تخالف بعض ما اعتاده الناس من قوانين كونية.

- ومنهم الربوبيون الذين يؤمنون بوجود الخالق وينكرون كل الأديان. فهؤلاء يكون النقاش معهم من مبدأ أهمية النبوة وضرورتها وتوافقها مع الحكمة الإلهية، ثم بإثبات نبوة النبي ﷺ.

- ومنهم أصحاب الأديان الذين يؤمنون بأنبياء ويكفرون بآخرين، كاليهود والنصارىٰ. فهؤلاء يكون النقاش معهم بإثبات نبوة محمد ﷺ، وأنه لا فرق بين الرسل من جهة أصول رسالاتهم، وأن رسالة النبي ﷺ مصدقة لرسالات الأنبياء وليست مكذبة لها.

دلائل نبوة النبي ﷺ:

إنّ الدلائل والبراهين التي تثبت لنا أن محمدا عليه الصلاة والسلام نبي مرسل من عند الله تعالىٰ كثيرة جدًا، وقد أوصلها بعض العلماء إلىٰ ألف دليل، وكتب العلماء في ذلك وألفوا، وجمعوا وحققوا، فمنهم الذي ركّز علىٰ دلائل العقل، ومنهم من اهتم بدلائل الخبر، ومنهم من اعتنىٰ بجانب المعجزات الحسية.

ومِن أجمع الكتب المتقدمة: كتاب دلائل النبوة للبيهقي، ومن أفضل الكتب المعاصرة: كتاب براهين النبوة لسامي عامري، وكتاب النبأ العظيم لمحمد دراز، ومن أراد شيئا مسهلا لطيفا

فيمكنه مشاهدة سلسلة حلقات للدكتور منقذ السقار بعنوان: براهين النبوة.

وسأعرض شيئا من دلائل النبوة علىٰ طريقة جدول بعنوان (التنوع والتكامل في دلائل النبوة) ولكن قبل ذلك، سأشير إلىٰ قضية مهمة جدا، ألا وهي أن النبوة خبر من الأخبار، أي أن النبي يُخبر بأنه نزل عليه الوحي، والمُخبِر إما أن يكون صادقا أو كاذبا، وتمييز الصادق من الكاذب في الأمور الكبيرة -مثل النبوة- سهل جدا، لأن الذي يدّعي أنه نبي ولا يكون كذلك فإنه يكون من أشد المخلوقات كذبا، وتمييز هذا النوع من البشر في غاية اليُسر، حتىٰ الجاهل يمكنه معرفة كذب من يدّعي النبوة وهو غير صادق فيها، ولذلك قال الإمام ابن أبي العز الحنفي:

«النبوة إنما يدّعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا علىٰ أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تُعرِب عنهما، وتُعَرِّف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوىٰ النبوة، فكيف بدعوىٰ النبوة؟»[(١)] وهو كلام في غاية النفاسة، وقد ذكره قبله الإمام ابن تيمية وذلك في شرحه للعقيدة الأصبهانية، وسأذكر الكلام بنصّه مع اختصار يسير، قال رحمه الله تعالىٰ:

«ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق

(١) شرح الطحاوية، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد (ص١٠٩)

وأكملهم، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم، فكيف يشتبه أفضلُ الخلق وأكملُهم بأنقص الخلقِ وأرذلِهم؟!

وما من أحد ادعىٰ النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنىٰ تمييز. وما من أحد ادعىٰ النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنىٰ تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولا بد أن يفعل أمورًا؛ والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به، وما يخبر عنه، وما يفعله ما يَبِينُ به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه ويفعله = ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة.

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة حتىٰ في المدّعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والنساجة والكتابة، وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك، فما من أحد يدعي العلم بصناعة أو مقالة إلا والتفريق في ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة، وكذلك مَن أظهر قصدا وعملا كمن يظهر الديانة والأمانة والنصيحة والمحبة وأمثال ذلك من الأخلاق فإنه لا بد أن يتبين صدقه وكذبه من وجوه متعددة.

والنبوة مشتملة علىٰ علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم، وأشرف الأعمال، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟ ولا يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب من وجوه

كثيرة؟ لا سيما والعالم لا يخلو من آثار نبي من لدن آدم إلىٰ زماننا، وقد عُلم جنس ما جاءت به الأنبياء والمرسلون وما كانوا يدعون إليه ويأمرون به، ولم تزل آثار المرسلين في الأرض ولم يزل عند الناس من آثار الرسل ما يعرفون به جنس ما جاءت به الرسل ويفرقون به بين الرسل وغير الرسل.

فلو قدر أن رجلا جاء في زمان إمكان بعث الرسل وأمر بالشرك وعبادة الأوثان وإباحة الفواحش والظلم والكذب، ولم يأمر بعبادة الله ولا بالإيمان باليوم الآخر هل كان مثل هذا يحتاج أن يطالب بمعجزة أو يشك في كذبه أنه نبي؟» **إلىٰ آخر كلامه** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]

(١) شرح الأصبهانية، مكتبة دار المنهاج، باختصار من (٥٣٩-٥٤٤)

تنوع وتكامل دلائل النبوة

نوع الدليل	أمثلة من آحاد الدليل
الـكـمـال الأخلاقي (الـصـدق والأمانة)	- شهادة قومه له بالأمانة والصدق: ١- موقف وضعه الحجر الأسود في الكعبة زمن الجاهلية. ٢- عند البعثة حين قال: لو أخبرتكم أن جيشًا سيخرج من وراء الجبل هل تصدقوني فقالوا: نعم. ٣- موقف أبي سفيان حين سأله هرقل وهو رئيس الروم: «هل كنتم تتهمونه بالكذب»؟ فأجابه أبو سفيان: لا. فقال له هرقل: «وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا؛ فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَىٰ اللَّهِ»[1]

(١) صحيح البخاري (٧).

	- تسليم أمانات المشركين قبل الهجرة. - تبليغ الآيات التي فيها عتاب له، مثل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عَبَسَ: ١] ومثل: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ [الأَحزَاب: ٣٧]. ومثل ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التَّوبَة: ٤٣]. - حادثة الإفك: حيث تربص شهرًا كان شديدًا عليه جدًا لم يقل فيه شيئا من عنده، حتىٰ نزل الوحي بعد ذلك بدروس الموقف وعبره. - حين كسفتِ الشمْس في اليوم الذي مات فيه إبراهيم ابن النبيّ ﷺ قال النّاس: (كسفتِ الشّمسُ لموت إبراهيم) فقام فيهم خطيبًا مُصحِّحًا هذا الاعتقاد الخاطئ، معظّمًا ربّه وخالقه ومولاه قائلًا: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ**»[1]. - **والأمثلة كثيرة بالغة الكثرة لا يمكن سردها كلها ولا نصفها هنا، وهذا فقط في نوع واحد من الأدلة.**
الآيات الحسية	- أعظمها: عجز العرب عن معارضة الكتاب الذي جاء به.

(١) صحيح البخاري (١٠٤٣)، صحيح مسلم (٩٠٢).

	- نبع الماء من بين أصابعه. - الشفاء بريقه وبمسحة يده. - تكثير الطعام بين يديه. - انشقاق القمر.
الأخبار الغيبية	- الإخبار بدخول مكة ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ - الإخبار بمقتل قادة مؤتة. (البخاري ١٢٤٦) - الإخبار بمقتل عمار رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ علىٰ يد مسلمين بغوا عليه: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**» البخاري (٤٤٧) - الإخبار بخروج الخوارج: «**تمرق مارقة من الدين علىٰ حين فرقة من المسلمين**» مسلم (١٠٦٤) - الإخبار بأن الحسن بن علي سيصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وقد حصل ذلك عام الجماعة. (البخاري ٢٧٠٤) - الإخبار بفتح فارس «**لئن طالت بك حياة لتُفتحنّ كنوز كسرىٰ**» (البخاري ٣٥٩٥) - حديث أن من علامات الساعة: «**أَنْ تَرَىٰ الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ في البُنْيانِ**» (صحيح مسلم ٨) - إلىٰ آخره من النصوص الغيبية الكثيرة جدا.

القرآن الكريم	ووجوه دلالة القرآن علىٰ صدق النبي ﷺ كثيرة جدا سبق الحديث عن شيء منها في مبحث الإيمان بالكتب، وهو موضوع: **الإعجاز القرآني** ولكن القرآن يدل بأكثر من ذلك، ففيه **الأخبار الغيبية** أيضًا -غير أخبار السنة التي سبق ذكرها، مثل: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ وهذا من أعظم الأخبار الغيبية لمن تأمله. وفيه **العلوم العالية** التي لم يعرفها العرب ولا يستطيعونها مع أن النبي ﷺ نشأ بينهم. وغير ذلك
أخبار الكتب السابقة	- (جاء في إنجيل يوحنا/الإصحاح السادس عشر، أن عيسىٰ عليه السلام قال: «وأما الآن فأنا ماض إلىٰ الذي أرسلني، وليس أحد منكم يسألني: أين تمضي؟ لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم «المُعَزِّي»، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم» . . «إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متىٰ جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلىٰ جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من

نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم». انتهىٰ. وهذه بشارة بمن يأتي بعده صفته أنه لا يتكلم من نفسه بل يتكلم بما يسمع، ويخبر بأمور آتية، وهذه صفة تُذكرنا بقول الله عن محمد صلّىٰ الله عليه وسلّم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] هذا غير ما ذكره عدد من الباحثين ومنهم د: منقذ السقار . وهو متخصص في هذا الباب . في معنىٰ كلمة (المعزي) وأنها ترجمة غير دقيقة للنص الأصلي باليونانية (باراقليط) وأن المعنىٰ الأدق للكلمة اليونانية هو: الذي له الحَمد الكثير، فيكون الاسم الدال علىٰ ذلك (أحمد) أو (محمد) أو (الحامد) وليس المُعزّي[١] فيكون ذلك . لو صحّ . من جملة تحريفاتهم)[٢].	

(١) ذكره دكتور منقذ السقار في مقطع مرئي له في اليوتيوب بعنوان: بشارة النبي محمد في التوراة والانجيل علىٰ هذا الرابط وغيره:
https//www.youtube.com/watch?t=347&v=KSdXkfGHRAI

(٢) كتاب سابغات، أحمد السيد (١١٣-١١٤)

- وهناك نصوص أخرىٰ لمن أراد التوسع يراجع كتاب: هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟ وكتاب: تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله ﷺ، لنصر الله أبو طالب. وكتاب: يجدونه مكتوبًا عندهم. لفيصل علي الكاملي.	

وهذا غيض من فيض، ونقطة من بحر، فالعاقل حين يرىٰ هذه الدلائل، ويجعل بينها تكاملًا، فإنه لا يسعه إلا أن يقول: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله!